يذكرون الم نكرم ضيافتكم ونوفيكم كيلكم ونحسن منزلكم ونفعل بكم مالم نفعله بغيركم
وادخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا قالوا بلى وماذاك قالوا انكم لسارقون وذكروه
السدك فلما ارتحلوا اذن مؤذن اينتها العير والسياق يقتضي ذلك اذ لو كان هذا وهم
بحضرته لم يحتج الى الاذان وانما يكون الاذان بنداء البعيد يطلب وقوفه وحبسه
وكان في هذا من لطيف الكيد انه ابعد من التهمة للطالب بالمواطاة والموافقة وانه
لا يشعر بما فقد له فكانه لما خرج القوم وارتحلوا وفصلوا عن المدينة احتاج الملك
الى صواعه لبعض حاجته اليه فالتمسه فلم يجده فسأل عنه الحاضرين فلم يجدوه فاز
سلوا في اثر القوم فهذا احسن وابعد من التفطن للحيلة من التفتيش في الحال قبل
انفصالهم عنه بل كل ما ازداد البعد عنه كان ابلغ في هذا المعنى ومن لطيف الكيد
انه اذن فيهم بصوت عال رفيع يسمعه جميعهم ولم يقل لواحد واحد منهم اعلاما
بان ذهاب الصواع امر قد اشتهر ولم يبق خفاء وانتم قد اشتهر باخذه ولم يتهم به
سواكم ومن لطيف الكيد ان المؤذن قال انكم لسارقون ولم يعين المسروق حتى سألهم
عنه القوم فقالوا لهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك فاستقر عند القوم
ان الصواع هو المتهم به وانهم لم يفقدوا غيره فاذا ظهر لم يكونوا ظالمين باتهامهم
بغيرهم وظهر صدقهم وعدلهم في اتهامهم به وحده وهذا من الطف الكيد ومن لطيف
الكيد قول المؤذن واصحابه لاخوة يوسف فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي ما عقوبة
من ظهر عليه انه سرق منكم ووجد معه اي ما عقوبته عندكم وفي حكمكم قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه فاخذهم بما حكموا به على انفسهم لا بحكم الملك وقومه ومن
لطيف الكيدان الطالب لما لم يتمكن من تفتيش رواحلهم بدا باوعيتهم يفتشها قبل وعاء من هو
معه تطمينا لهم وبعدا من تهمة المواطاة فانه لو بدا بوعاء من هو فيه لقالوا ومايدريه
انه في هذا الوعاء دون غيره من اوعيتنا وما هذا الا بمواطاة وموافقة فازال هذه
التهمة بان بدا باوعيتهم اولا فلما لم يجده بها رجوع قبل تفتيش وعاء من فيه الصواع
فقال ما الراكم سارقين وما اظن هذا ايضا اخذ شيئا فقالوا والله لا نذعكم حتى
تفتشوا متاعه فانه اطيب لقلوبكم واظهر لبراءتنا فلما ابوا عليهم بذلك فتشوا متاعه
فاستخرجوا منه الصواع وهذا من احسن الكيد فلهذا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف
ماكان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي

علم عليم

علم عليم فالعلم بالكيد الواجب او المستحب الذي يتوصل به الى طاعة الله ورسوله
ونصر الحق وكسر المبطل مما يرفع الله به درجة العبد وقد ذكروا في تسميتهم سارقين
وجهين احدهما انه من باب المعاريض وان يوسف نوى بذكرانهم سارقوه من ابيه حيث
غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوا بها عليه وخانوه فيه والخائن يسمى سارقا وهو الاستعمال
المشهور والثاني ان المنادي هو الذي قال ذلك من غير امر يوسف قال القاضي ابو يعلى
وغيره امر يوسف بعض اصحابه ان يجعل الصاع في رحل اخيه ثم قال لبعض الموكلين
به لما فقده ولم يرد من اخذه اينتها العير انكم لسارقون على ظن منهم انهم كذلك ولم يامرهم
يوسف بذلك ولعل يوسف قال للمنادي هؤلاء قد سرقوه وعنى سرقته من ابيه والمنادي
فهم سرقة الصواع وصدق في قوله انكم لسارقون لما اخبره به يوسف وصدق في قوله
تفقد صواع الملك وتأمل قوله انكم لسارقون ولم يقل صواع الملك فلما جاء الى ذكر
المفقود قال نفقد صواع الملك وهو صادق في ذلك فحذف في قوله انكم لسارقون ما
ذكر في قوله نفقد صواع الملك ولذلك قال يوسف لما عرض عليه ان يأخذ احدهم
مكان اخيهم معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل ان نأخذ الا
من سرق فان للمتاع كان موجودا عنده ولم يكن سارقا وهذا من احسن المعاريض
وقد قال نضر بن حاجب سئل سفيان بن عيينة عن الرجل يعتذر الى اخيه من الشيء
الذي قد فعله ويحرف القول فيه ليرضيه اياتم فقال الم تسمع قوله ليس بكاذب من اصلح
بين الناس وكذب فيه فاذا اصلح بينه وبين اخيه المسلم كان خيرا من ان يصلح بين
الناس بعضهم في بعض وذلك انما اراد مرضاة الله وكراهية المؤمن وبيدفع على ما كان
منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة عندهم ولا اطلاعا في شيء
يصيب منهم فانما لم يرخص في ذلك ورخص له اذا كره موجدتهم وخاف عداوتهم قال
حذيفة اني اشتري ديني ببعضه ببعض مخافة ان اقدم على ما هو اعظم منه قال سفيان
وقال الملكان خصمان بغى بعضنا على بعض اراد بعضي شيئي ولم يكونا خصمين فلم يصيرا
بذلك كاذبين وقال ابراهيم اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال يوسف انكم لسا
وقوله اراد بعضي اخيهم فبين سفيان ان هذا كله من المعاريض المباحة مع تسميته
كاذبا وان لم يكن في الحقيقة كاذبا وقد احتج بعض الفقهاء بقصة يوسف على انه يجوز
للانسان التوصل الى اخذ حقه من الغير مما يمكنه الوصول اليه بغير رضا من عليه
الحق قال شيخنا وهذه الحجة ضعيفة فان يوسف لم يكن يملك حبس اخيه عنه بغير

نحن موجدتهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)